المقاصد العقدية العشرة لآية الكرسي

وأثر التمسك بعروتها الوثقى في حفظ الإنسي

تأليف:
الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبدالله العليِّ
الأُستاذ المُساعد في قسم العقيدة والدَّعوة
بكليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١). ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

فإنَّ من نعمة الربِّ الجليل: أن يسَّر لعباده التَّنْزيل، فقد يسَّر للحفظ مبانيه، ويسَّر للفهم معانيه، ويسَّر للامتثال أوامرَهُ وللاجتناب نواهيه(٤)، ومُصداق ذلك في الكتاب المُبين: قول اللهِ ربِّ العالمين: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾(٥).

فهو كتابٌ مُباركٌ مُيسَّرٌ لجميع الأنام، يتدبَّرُ آياته ويستنبطُ بيِّناته أُولوا الأفهام، كما قال المَلِكُ القُدُّوس السَّلام: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٢) سورة النِّساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠-٧١.

(٤) انظر: الصَّواعق المُرسلة على الجهميَّة والمُعطِّلة لابن قيِّم الجوزيَّة ١/ ٣٣١.

(٥) سُورة القمر: الآيات ١٧؛ ٢٢؛ ٣٢؛ ٤٠.

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾(١).

وهذا التَّدبُّر لكلام الله تعالى أعظمُ طاعة، والهجر لهذا التَّدبُّر أعظمُ تفريطٍ وإضاعة، لذا كان من جُملة الخطايا والذُّنوبِ والسَّيِّئاتِ والمعاصي؛ التي يُوجب التَّحذيرُ من رِبْقَتِها النُّصحَ والتَّذكيرَ والتَّواصي: هجرُ الإنسان؛ لتلاوة القُرآن.

وهذا الهجرُ لتلاوةِ القُرآنِ الكريمِ عِدَّةُ أنواعٍ، فحظٌّ للقُلوب وحظٌّ للألسن وحظٌّ للأسماع، فمن النَّاس من يهجرُ تلاوةَ آياته، ومنهم من يهجرُ سماعَ عظاتِه، ومنهم من يهجرُ تدبُّرَ بيِّناتِه، ومنهم من يهجرُ الإيمانَ بمُتشابهه والعملَ بمُحكماته، ومنهم من يهجرُ تحكيمَه والتَّحاكمَ إليه في مُشاجراتِه، ومنهم من يهجرُ الاستشفاءَ به من أدوائه والتَّداوي به من علاته(٢).

وجميع ما تقدَّم من هذه الأقسام والأنواع: مِمَّا تضجُّ منه القُلوب وتنفر منه الطِّباع، وهي داخلةٌ في قول ربِّ العالمين؛ على لسان نبيِّه الصَّادق الأمين؛ صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿ **وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا** ﴾(٣).

وقد اجتهدت في هذا البحث في تدبُّر المقاصد العقديَّة لأعظم آيةٍ في القُرآن، وبيَّنت أثر التَّمسُّك بعُروها الوُثقى في حفظ الإنسان من أذى وشرِّ الشَّيطان.

وقد قسَّمت البحث إلى: مُقدِّمةٍ وتمهيدٍ ومبحثيْن وخاتمةٍ، وتفاصيل ذلك على النَّحو الآتي:

أولًا: مُقدِّمة البحث:

وتتناول: فاتحة البحث؛ وخُطَّته.

ثانيًا: التَّمهيد:

(١) سُورة ص: الآية ٢٩.

(٢) انظر: الفوائد لابن قيِّم الجوزيَّة ص١١٨.

(٣) سُورة الفُرقان: الآية ٣٠.

ويتناول: مباني ومعاني آية الكُرسيِّ؛ وما لها من الفضل القُدسيِّ.

ثالثًا: المبحث الأوَّل: المقاصد العقديَّة العشرة لآية الكُرسيِّ:

ويتناول هذا المبحث: مقاصد هذه الآية العقديَّة، وهي مُودعةٌ في عشرة مطالب.

رابعًا: المبحث الثَّاني: أثر التَّمسُّك بعُروة آية الكُرسيِّ الوُثقى في حفظ الإنسيِّ:

ويتناول هذا المبحث: آثار التَّمسُّك بهذه الآية في الحفظ، وهي مُودعةٌ في ثلاثة مطالب.

سادسًا: خاتمة البحث:

وتتناول: أهمَّ النَّتائج التي توصَّلت إليها في هذا البحث، ومُلحقٌ بها: فهرس المراجع والمصادر العلميَّة التي تمَّ الاستفادة منها، وفهرس الموضوعات.

والله سبحانه وتعالى أسأل؛ وبأسمائه الحُسنى أتوسَّل: أن يجعل أعمالنا كُلَّها صالحة، ولوجهه الكريم خالصة، وأن يجعل هذا البحث تعاونًا على البرِّ والتَّقوى؛ وتواصيًا بالحقِّ وتواصيًا بالصَّبر.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين، وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين.

التَّمهيد

إنَّ شريف التَّدبُّر ولطيف التَّفقُّه بآيات الذِّكر الحكيم: يدلُّ على ما فيها من جليل المعاني والفضل العظيم، وأَوْلَى ما ابْتُدِئ به هي أعظمُ آية في كتاب الله عزَّ وجلَّ ألا وهي آيةُ الكُرسيِّ، فهي الآية الكريمة التي لا تستطيعها البَطَلَةُ(١) من كُلِّ شيطانٍ جنِّيٍّ ولا إنسيٍّ.

وقد تكاثرت آثار فضلها الجليَّة، كما توافرت أخبار منزلتها السَّنيَّة، فقد أخرج مُسلمٌ في صحيحه عن أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (**يا أبا المُنذر، أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قُلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المُنذر، أتدري أيَّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلتُ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قال: فضرب في صدري، وقال: والله، لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنذر**)(٢).

زاد أحمد في مُسنده: (**لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنذر، والذي نفسي بيده، إنَّ لها لسانًا وشفتين تُقدِّس المَلِكَ عند ساق العرش**)(٣).

فآية الكُرسيِّ هي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله تعالى على الإطلاق، وعظمتُها تفوقُ عظمةَ ما في الأرضِ والسَّماواتِ السَّبعِ الطِّباق، فقد أخرج التِّرمذيُّ في سُننه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما خلق الله من سماءٍ ولا أرضٍ أعظمَ من آية الكُرسيِّ.

---

(١) هُم السَّحرة، سُمُّوا بذلك لمجيئهم بالباطل، كما في النِّهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ١٣٦.

(٢) صحيح مُسلم [كتاب صلاة المُسافرين/ باب فضل سُورة الكهف وآية الكُرسيِّ- الحديث رقم (٨١٠)- ١/ ٥٥٦].

(٣) مُسند أحمد [الحديث رقم (٢١٢٧٨)- ٣٥/ ٢٠٠].

قال سُفيان(١): لأنَّ آية الكُرسيِّ هو كلام الله، وكلام الله أعظمُ من خَلْقِ اللهِ من السَّماء والأرض)(٢).

فهذه مباني ومعاني آيةِ الكُرسيِّ؛ الحافظةِ من أذى كُلِّ جنيٍّ وأنسيٍّ، فما أعلاها من آيةٍ وبَيانٍ؛ وأعظمها من حُجةٍ وبُرهانٍ، فقد اشتملت هذه الآيةُ الكريمة على عشر جُملٍ يُصدِّق بعضُها بعضًا في الوعظ، وحَوَتْ خمسين كلمةً مُثبتةً ونافيةً شافيةً وكافيةً وآخذٌ بعضُها بحُجَزِ بعضٍ.

فحريٌّ بمن تأمَّلها مع جلال التبصُّر؛ وحُقَّ لمن قرأها مع جمال التَّدبُّر؛ وقَمِنٌ بمن عمل بها مع كمال التَّفكُّر: أن يُحفظ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وفي ليله ونهارِه، وأن لا يزالَ عليه مَلَكٌ كريمٌ يحفظه فيَفْرُقُ منه الشَّيطانُ ويشتدُّ في فِرارِه، وأن يعتصم قارئها بربِّه تبارك وتعالى في ظاهره وباطنه وسرِّه وجهارِه.

فمن تأمَّل ما يُثمره حُسنُ التَّبصُّر والتَّدبُّر والتَّفكُّر في معاني آي الذِّكر الحكيم: استرشد بها في أُمور دينه ودُنياه واستهدى بها في أُخراه إلى الصِّراط المُستقيم.

أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجعلنا ممَّن يستمع القول فيتَّبع أحسنَهُ، وأن نكون ممَّن هجر بعد هذه الآية الكريمة نومَ الغفلة ووسنَه.

وهذا أوانُ الشُّروع في المُراد والمُبتغى والمقصود، مُستلهمين الرَّشاد والسَّداد من المُستعان المعبود:

(١) هُو سُفيان بن عُيينة رحمه الله تعالى.

(٢) سُنن التِّرمذيِّ [كتاب فضائل القُرآن/ باب ما جاء في سُورة آل عمران- الحديث رقم (٢٨٨٤)- ص٦٤٥].

المبحث الأوَّل:
المقاصد العقديَّة العشرة لآية الكُرسيِّ:

إنَّ هذه الجُمل العشرة التي حوتها هذه الآية الكريمة؛ قد اشتملت على كثيرٍ من المقاصد العقديَّة العظيمة، وإنَّما يُوفَّق لاستخراج الفوائد الغزيرة واستنباط المقاصد الكثيرة منها من أمعن التَّدبُّر والتَّفكُّر وأنعم القراءة والتَّرديد، واعتقد قبل ذلك أن هذه الآية العزيزة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وأنَّها مُنزَّلةٌ من حكيمٍ حميد، وبيان ذلك في المطالب العشرة الآتية:

المطلب الأوَّل: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي الأُولى من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فهي مُتضمِّنةٌ لكلمة الشَّهادة؛ ومُشتملةٌ على مفتاح دار السَّعادة، وهي كلمة التَّقوى؛ وعُروة الدِّين الوُثقى، وهي زُبدةُ دعوةِ الأنبياء المُرسلة؛ ورأسُ أمرِ جميعِ الشَّرائعِ المُنزلة.

فهي أعظم كلمةٍ انعقد عليها الجَنان، وأجلُّ وأشرف شهادةٍ نطق بها اللِّسان، وأفضل ما حقَّقت مقاصدَه الأركان.

فهذه الجُملة هي التي بتردادها يتجدَّد الإيمان، والشَّهادة التي تُحرِّم على العبد الخُلُود في النِّيران، وهي التي تُوجب له المصير إلى التَّنعُّم في الجِنان.

فهي مُشتملةٌ على الإقرار بكمال وحدانيَّة الربِّ عزَّ وجلَّ وتفرُّده باستحقاق العُبوديَّة، وأنَّه واحدٌ لا مثيلَ له في أسمائه وصفاته ولا عديلَ له في الرُّبوبيَّة ولا شريك له في الأُلوهيَّة.

فلا إله بحقٍّ إلا الله؛ ولا يُؤلَّه ويُعبد إلا إيَّاه، فهو الحقُّ وما سواه باطلٌ، وهو المُبين وما سواه عاطلٌ، ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ**

الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾(١).

فهو الصَّمد الذي يُغني ويُقني جميع قاصديه، ومن يُدعى من دُونه لا يَملكُ شيئًا لعابديه، ﴿ **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ** ﴾(٢).

لذا كان الله عزَّ وجلَّ هو المُستحقُّ بأن يُخصَّ بالعبادة وبه يُستعان، لأنَّه لا حول ولا قُوَّة للعابد إلا بالله فهو الذي هداه وأعان، فلمَّا أعان الله عزَّ وجلَّ عبده فنعم المعبودُ ونعم المُعين، ناجاه العبد بقوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾(٣).

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة الأُولى من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب الثَّاني: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي الثَّانية من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فلمَّا عَرَف العبد حقَّ الله تعالى في الأُلوهيَّة أُتْبِعَ بما هو مُتقرِّرٌ ومعلومٌ؛ فجاءت تسمية الله تعالى باسمه الأعظم الجامعِ لاسمَيِ: ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾.

فهذه الجُملة قد اشتملت على اسم الله الأعظم الذي من سَأَل به أعُطِيَ؛ ومن دعا به استُجيب له ومن استغاث أُغيث ومن استجار كُفِيَ ووُقِيَ، فعن أبي أُمامة الباهليِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (**إنَّ اسم الله الأعظم في ثلاث سُوُرٍ من القُرآن: في سُورة البقرة؛ وآل عمران؛ وطه.**

(١) سُورة الحجِّ: الآية ٦٢.

(٢) سُورة هُود: الآية ١٠١.

(٣) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

قال القاسم(١): فالتمستها، إنَّه: ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾) أخرجه الحاكم(٢).

وأخرج أحمد وأبوداود والتِّرمذيُّ وابن ماجه عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين:** ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ** ﴾(٣)، **وفاتحة آل عمران:** ﴿ **الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾(٤))(٥).

ووجه ذلك أنَّ اسمَ الجلالة (الحيَّ) يتضمَّن الدِّلالة على جميع الصِّفات الذَّاتيَّة، وهي الصِّفات التي اتَّصف بها الرَّبُّ تعالى فلا تنفكُّ بحالٍ من الأحوال عن الذَّات العليَّة، كصفة علمه وإرادته؛ وسمعه وبصره وقُدرته.

فالله سبحانه وتعالى هو الحيُّ الموصوف بالبقاء؛ فحياته دائمةٌ لم يتقدَّمها عدمٌ ولا يلحقها فناء.

فإقرار العبد بحياة ربِّه تبارك وتعالى يستلزم الإيمان بأنَّه سميعٌ لجميع الأقوال، وأنَّه عليمٌ بالظَّاهر والباطن وخبيرٌ بالغيب والشَّهادة وبصيرٌ بجميع الأفعال.

وإذا أدرك العبد بأنَّ الله تعالى هو الحيُّ الذي لا يموت؛ وأنَّه سميعٌ وبصيرٌ وعليمٌ فلا يضلُّ ولا ينسى ولا يفوت: علم أنَّه المُستحقُّ وحده للعبادة مع كمال

---

(١) هُو القاسم بن عبدالرَّحمن رحمه الله تعالى.

(٢) مُستدرك الحاكم [كتاب الدُّعاء والتَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح والذِّكر- الحديث رقم (١٨٦١)- ١/ ٦٨٤].

(٣) سُورة البقرة: الآية ١٦٣.

(٤) سُورة آل عمران: الآيتان ١-٢.

(٥) مُسند أحمد [الحديث رقم (٢٧٦١١)- ٤٥/ ٥٨٤]، سُنن أبي داود [كتاب الصَّلاة/ باب تفريع أبواب الوتر/ باب الدُّعاء- الحديث رقم (١٤٩٦)- ص٢٣٠-٢٣١]، سُنن التِّرمذيِّ [كتاب الدَّعوات/ باب (٦٥)- الحديث رقم (٣٤٧٨)- ص٧٩٠]، سُنن ابن ماجه [كتاب الدُّعاء/ باب اسم الله الأعظم- الحديث رقم (٣٨٥٥)- ص٦٣٥].

الحُبِّ والذُّل بين الخوف والرَّجاء، فيُخلص الوجه والعمل لله تبارك وتعالى فلا يُبطل أعمالَه بشيءٍ من السُّمعة والرِّياء، لذا كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول في دُعائه: (**اللهمَّ لك أسلمتُ؛ وبك آمنتُ؛ وعليك توكلّتُ؛ وإليك أنبتُ؛ وبك خاصمتُ، اللهمَّ إنِّي أعوذ بعزَّتك لا إله إلا أنت أن تُضلَّني، أنت الحيُّ الذي لا يموت، والجنُّ والإنس يموتون**) أخرجه البُخاريُّ ومُسلمٌ من حديث عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما(١).

وأمَّا اسمُ الجلالة (القيُّوم) فإنَّه يتضمَّن الدِّلالة على جميع صفات الأفعال، وهي الصِّفات التي يفعلها الرَّبُّ تعالى مع غِنَاهُ المُوجبِ للعظمةِ والجَلال، كصفة الخلق والإماتة والإحياء؛ والقبض والبسط والمنع والإعطاء.

فالله سبحانه وتعالى هو القيُّوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى أحدٍ؛ وغيرُه مُحتاجٌ إليه ومُعوِّلٌ عليه ومُفتقرٌ بذاته إلى غوث منه ومدد.

فقيامُ العالَمِ العُلويِّ والسُّفليِّ وتدبيرُ شُؤونهما إنَّما هو بأمره، فهو القائم على كُلِّ نفسٍ بما كسبت فهي تحت تصرُّفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ**

(١) صحيح البُخاريِّ [كتاب التَّوحيد/ باب قول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾. ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ**﴾. ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ**﴾. ومن حلف بعزَّة الله وصفاته- الحديث رقم (٧٣٨٣)- ٥/ ٢٣٠٥]، صحيح مُسلمٍ [كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار/ باب التَّعوُّذ من شرِّ ما عمل ومن شرِّ ما لم يعمل- الحديث رقم (٢٧١٧)- ٤/ ٢٠٨٦].

(٢) سُورة الرَّعد: الآية ٣٣.

دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾(١).

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة الثَّانية من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب الثَّالث: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي الثَّالثة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فلما تقدَّم وصف الله تعالى بكمال الحياة والقيُّوميَّة: جاء تأكيد ذلك بنفي النَّوم ومُقدِّماته عنه بالكُليَّة، فهو حيٌّ دَّائم لا ينامُ ولا يموت؛ وقيُّومٌ قاهرٌ لا ينعس ولا يفوت.

فالنُّعاس والنَّوم مُسوِّغٌ لتغيُّر الأحوال والانتقال من حالٍ إلى حال، ولو جرى ذلك لدُكَّت السَّماوات السَّبع والأرض وأدركهما الزَّوال، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾(٢).

وعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: (أنَّ بني إسرائيل قالوا: يا مُوسى؛ هل ينام ربُّك؟ قال: اتَّقوا الله. فناداه ربُّه: يا مُوسى؛ سألوك هل ينام ربُّك؟ فخُذ زُجاجتيْن بيَدَيْك؛ فقُم اللَّيلة. ففعل مُوسى، فلما ذهب من اللَّيل ثُلثٌ: نعس؛ فوقع لرُكبتيه، ثُمَّ انتعش فضبطهما، حتَّى إذا كان آخر اللَّيل: نعس؛ فسقطت الزُّجاجتان فانكسرتا. فقال: يا موسى؛ لو كُنت أنام لسقطت السَّماوات والأرض؛ فهلكن كما

(١) سُورة الرُّوم: الآية ٢٥.

(٢) سُورة فاطر: الآية ٤١.

هلكت الزُّجاجتان بِيَدَيْك. فأنزل الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم آية الكُرسيِّ) أخرجه ابن أبي حاتمٍ(١).

فالنُّعاس يمنع المُقدِّر من التَّقدير، والنَّوم يشغل المُدبِّر عن التَّدبير، وهذا يُنافي كمال العليم الخبير، فمن علم أنَّ هذا وصف مَنْ مقاليد الأمور كُلِّها بيديْه: فإنَّه يُفوِّض جميع أمره إليْه؛ ويصدق في التَّوكُّل عليْه، ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا**﴾(٢).

فالنُّعاس والنَّوم صفة نقصٍ في حقِّ من هو موصوفٌ بكمال الحياة والقيُّوميَّة، فهذا النَّفي مُتضمِّن لإثبات كمال ضدِّه المُستلزم لإحاطته علمًا بجميع البريَّة، بخلاف المخلوق فإنَّ إثبات هذا الوصف له صفة كمال تقتضيه طبيعة البشريَّة، فللخالق سُبحانه صفات كمال تُناسب غناه وعزَّه وجبروته الذَّاتيَّ، وللمخلوق كذلك صفات كمالٍ تُناسب فقره وذُلَّه وانكساره الذَّاتيَّ.

فالنَّوم صفة كمالٍ في حقِّ المخلوق الموصوف بالضَّعف والانكسار، لكنَّه صفة نقصٍ في حقِّ الخالق الذي جاءت تسميته بالقويِّ الجبَّار، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (**أنَّ نفرًا من أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم سألوا أزواج النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن عمله في السرِّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوَّج النِّساء. وقال بعضهم: لا آكل اللَّحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراشٍ. فحمد الله وأثنى عليه فقال: ما بال أقوامٍ قالوا كذا وكذا؟ لكنِّي أُصلِّي وأنام، وأصوم وأُفطر، وأتزوَّج النِّساء، فمن رغب عن سُنَّتي: فليس مِنِّي**) أخرجه مُسلمٌ(٣).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتمٍ ٢/ ٤٨٧.

(٢) سُورة الفُرقان: الآية ٥٨.

(٣) صحيح مُسلمٍ [كتاب النِّكاح/ باب استحباب النِّكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مُؤنة واشتغال من عجز عن المُؤن بالصَّوم- الحديث رقم (١٤٠١)- ٢/ ١٠٢٠].

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة الثَّالثة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب الرَّابع: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي الرَّابعة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فتأمَّل في قوله تعالى: ﴿لَّهُ﴾ الدَّال على كمال المُلكيَّة، وأنَّه سُبحانه وتعالى المُستحقُّ وحده لأن يُفرد بالعُبوديَّة، فله جلَّ جلاله مُلك السَّماوات والأرض يتصرَّف فيهما كيف ما شاء، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما يترلُ وما يعرج في السَّماء، فكُلُّ من في السَّماواتِ السَّبعِ ومن في الأرضينَ السَّبعِ هُم عبيدٌ في مملكته، لا يخرجون في شُؤونهم عن مُلكه ولا يستقلُّون بشيءٍ دون تصرُّفه وقُدرته، كما قال الله تعالى: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾(١).

فتفرُّد الله تعالى بمُلك السَّماوات والأرض يستلزم تفرُّده في جميع الأمور، وهذا الاعتقاد يُثبِّت الإيمان ويجتثُّ شجرةَ الشِّركِ الخبيثةَ من الصُّدور، كما قال الله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾(٢).

---

(١) سُورة مريم: الآيات ٩٣-٩٥.

(٢) سُورة مريم: الآيتان ٢٢-٢٣.

فالمُشرك إنَّما يتَّخذ الأنداد من دون الله تعالى لما يُؤمِّله من المطلوب، فتارة يرجو منها جلب النَّفع وتارة يُؤمِّل كشف الضُّر ودفع الكُروب، وقد قطع الله تعالى تعلُّق المُشركين بسببٍ واحدٍ من هذه الأسباب، فنفى كون المعبود مالكًا يُقصد رغبة في الثَّواب أو رهبة من العقاب، فقال الله تعالى: ﴿**لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ**﴾.

فإذا انتفى أن يكون المعبود مالكًا جاز أن يكون شريكًا للمالك، فأبطل الله تعالى شركة المعبود ونفى تصرُّفه في شيءٍ من الممالك، فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ**﴾.

فإن لم يكن المعبود مالكًا ولا شريكًا فقد يُتصوَّر أنَّه ظهيرٌ ونصيرٌ ومُعينٌ، فنوَّه الله تعالى على انتفاء ذلك عمَّن عُبد من دُونه فتقطَّعت آمال المُشركين، فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ**﴾.

فلم يبقى من هذه المراتب إلا أن يكون المعبود وجيهًا مقبول الشَّفاعة، فأيَّس الله تعالى قُلوب المُشركين وجعل في قُلوب المُوحِّدين القناعة، فقال الله تعالى: ﴿**وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾(١).

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة الرابعة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

---

(١) انظر: الصَّواعق المُرسلة على الجهميَّة والمُعطِّلة لابن قيِّم الجوزيَّة ٢/ ٤٦١-٤٦٢، مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين له ١/ ٦٠٠-٦٠١.

المطلب الخامس: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي الخامسة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فلمَّا تقرَّرت دلائل الانفراد بالأُلوهيَّة؛ وتنوَّعت براهين استحقاق العُبوديَّة، وذلك بذكر كمال الحياة والقيُّوميَّة؛ والتَّنويه بجمال الرُّبوبيَّة وجلال الملكيَّة، وأنَّه لا مالك لنا سواه؛ وأنَّه لا شريك مع الله؛ لأنَّه سُبحانه مُستغنٍ عن الوليِّ والظَّهير؛ فلا يفتقر في مُلكه إلى مُعينٍ ولا نصير، فلا يتقدَّم بين يديه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسلٌ لعظيم قَدْرِه وعُلُوِّ شأنِه؛ قال تعالى مُقرِّرًا عظيمَ مُلْكِهِ: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾.

فتأمَّل قوله: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي** ﴾ فإنَّه استفهامٌ عامٌّ، لكنَّه استفهامٌ بمعنى النَّفي ليعمَّ بالنَّفي جميع الأنام، قال الله تعالى: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾(١).

فلا يتقدَّم أحدٌ بالشَّفاعة فتقرُّ بقبول شفاعته العين: إلا لمن أكرمه الله تعالى ومنَّ عليه بوجود الشَّرطَيْن، فالأوَّل: أن يأذن الله تعالى للشَّافع في التَّقدُّم بين يديْه بالشَّفاعة، والثَّاني: أن يرضى عن المشفوع فيه لما سبقت له من محاسن الطَّاعة، كما قال تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى** ﴾(٢).

وإذن الله تعالى للشَّافع ورضاه عن المشفوع بسبب شهادتهما بالحقِّ؛ وهي قولهما: (لا إله إلا الله) مع إخلاص قُلوبهما ونُطقهما بها بصدقٍ، كما قال تعالى:

(١) سُورة الزُّمر: الآية ٤٤.
(٢) سُورة النَّجم: الآية ٢٦.

﴿وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ويُصدِّق ذلك ما أخرجه البُخاريُّ في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: (**قيل: يا رسول الله؛ من أسعد النَّاس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّلُ منك؛ لِمَا رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ النَّاس بشفاعتي يوم القيامة: من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه أو نفسه**)(٢).

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة الخامسة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب السَّادس: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي السَّادسة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فأخبر الربُّ سُبحانه وتعالى عن سعة علمه بجميع المخلوقات، فقد أحاط علمُه بكُلِّ شيءٍ من الموجودات والمعدومات، فلا يعزب عن علمه شيءٌ من المُمكنات أو المُستحيلات، فعَلِمَ سُبحانه وتعالى ما كان وما يكون، وعَلِمَ ما لم يكن لو كان كيف يكون.

فالله سُبحانه وتعالى عالمٌ بأحوال خلقه جميعهم قبل أن يخلقهم، ومُحيطٌ بأعمالهم قبل أن يُوجدهم وبأرزاقهم قبل أن يرزقهم.

(١) سُورة الزُّخرف: الآية ٨٦.

(٢) صحيح البُخاريِّ [كتاب العلم/ باب الحرص على الحديث- الحديث رقم (٩٩)- ١/ ٥٩].

فمن دلائل استحقاق الربِّ جلَّ جلاله لجلال الأُلوهيَّة؛ ووجوه تفرُّده سُبحانه وتعالى وحده بكمال العُبوديَّة: علمُه تعالى المُحيطُ بعباده ومن سَلَفَهُم ومن خَلَفَهُم، وأنَّه سُبحانه ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾.

فالله سُبحانه وتعالى قد عَلِمَ ما بين أيدي العباد ممَّا يستقبلونه من أمور أُخراهُمُ الآجلة الباقية، كما أنَّه سُبحانه وتعالى قد عَلِمَ ما خَلْفَ العبادِ ممَّا يستدبرونه من أمور دُنياهُمُ العاجلة الفانية.

فقوله سُبحانه: ﴿ **مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ** ﴾: مُتضمِّنٌ لغيبٍ سيستقبله الإنسان، وقوله سُبحانه: ﴿ **وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾: مُتضمِّنٌ لما مضى من سالف الأزمان.

فإن قيل: إنَّ في الآية الكريمة مرتبتيْن زمنيَّتيْن يراهما النَّاظر؛ وثمَّة مرتبةٌ زمنيَّةٌ ثالثةٌ لِمَ لَمْ تُذكر ههنا وهي مرتبة الحاضر؟

فجواب ذلك من وجهيْن؛ بذكر تقريرهما قُرَّةُ العيْن:

الوجهُ الأوَّل: أنَّ مَنْ أحاطَ علمُه بالغيب الذي سيستقبله الإنسان: فمن المُتقرِّر بداهةً أنَّه سيعلم ولا بُدَّ ما هو عليه الآن.

الوجهُ الثَّاني: أنَّ القُرآن الكريم يُفسِّر بعضُه بعضًا بلا ريبٍ ولا مَيْن، وقد جاء التَّنويهُ بذكر هذه المرتبةِ مع هذه المرتبتيْن، فقد أخرج البُخاريُّ في صحيحه عن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (**قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لجبريل: ألا تزورنا أكثرَ ممَّا تزورنا؟ قال: فنزلت:** ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا** ﴾(١) **الآية**(٢))(٣).

(١) سُورة مريم: الآية ٦٤.

(٢) وهي قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾.

(٣) صحيح البُخاريِّ [كتاب بدء الخَلْق/ باب ذِكْر الملائكة- الحديث رقم (٣٢١٨)- ٢/ ٩٩٥].

فقوله سُبحانه: ﴿ **وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾ أي: ما بين زمن الماضي وزمن الاستقبال، وهو الزَّمن الحاضر الذي يُضارع فيه العبد سائر الأعمال من الأفعال والأقوال.

فالمُتأمِّلُ في حُسنِ مُناسبةِ ختمِ هذه الآيةِ الكريمة بقوله سُبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾: يُدرك تضمُّنها لإثبات كمال ضدِّ المنفي وهو كمال عِلْمِ إلـهٍ استحقَّ أن يُعبد لكونه قيُّومًا حيًّا.

فكمالُ عِلْمِ الله سُبحانه وتعالى بجميع الأحوال المُحيطة بالخليقة: يستلزم لزومهم لطريق العُبوديَّة مع اصطبارهم على هذه الطَّريقة، لذا أُتبع قوله تعالى: ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾: بقوله تعالى: ﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾(١).

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة السَّادسة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب السَّابع: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاء ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي السَّابعة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فلمَّا تقدَّم الإخبار عن كمال علم الرَّبِّ تبارك وتعالى المُحيطِ بجميع المخلوقات، أخبر الله سُبحانه وتعالى بأنَّه وحده المُستأثر بمعرفة ما غيَّبه عن خلقه من المُغيَّبات، فكلُّ من ادَّعى معرفة شيءٍ من علم الغيب من غير طريق الوحي فقد ظلم وأساء، لمُخالفته لقول الرَّبِّ تبارك وتعالى: ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ**

(١) سُورة مريم: الآية ٦٥.

بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِه إِلاَّ بِمَا شَاء ﴾.

إذ كيف يُحيط المخلوقُ الصَّغير؛ علمًا وإدراكًا بالخالق الكبير؟ فالخالق سُبحانه وتعالى جبَّارٌ والمخلوق كسيرٌ، والخالق سُبحانه وتعالى عزيزٌ والمخلوق حقيرٌ، والخالق سُبحانه وتعالى غنيٌّ والمخلوق فقيرٌ، ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾(١).

فلا يُحيط أحدٌ من العباد بعلم الرَّبِّ تبارك وتعالى الذي غيَّبه، ولا يطَّلع عليه من غير رضاه لا نبيٌّ أرسله ولا مَلَكٌ قرَّبه، ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾(٢).

ومن أعظم المُغيَّبات التي استأثر الله تعالى بها فلم يعلمها إنسٌ ولا جانٌّ: أصول الغيب الخمسة التي نصَّ الله تعالى عليها في خاتمة سُورة لُقمان، فعن عبدالله بن عُمر ابن الخطَّاب رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (**مفاتيح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلم متى تقوم السَّاعة إلا الله**(٣)) أخرجه البُخاريُّ(٤).

(١) سُورة طه: الآية ١١٠.

(٢) سُورة الجنِّ: الآيات ٢٦-٢٨.

(٣) مصداقه: قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [سُورة لُقمان: الآية ٣٤].

(٤) صحيح البُخاريِّ [كتاب التَّفسير/ باب قوله ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ** ﴾ - الحديث رقم (٤٦٩٧)- ٣/ ١٤٤٩].

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة السَّابعة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب الثَّامن: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي الثَّامنة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فأخبر الله سُبحانه وتعالى عن كُرسيِّه الذي فاق بسَعَته الخلائقَ أجمعين، فهو الكُرسيُّ الواسعُ الذي وَسِعَ جميعَ السَّماواتِ السَّبعِ والأرضين، فهو أوسع المخلوقات بعد العرش الذي استوى عليه أرحم الرَّاحمين، فعن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: (**دخلتُ المسجد الحرام؛ فرأيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وحده؛ فجلستُ إليه، فقلت: يا رسول الله؛ أيُّما آية أُنزلت عليك أفضل؟ قال: آية الكُرسيِّ، ما السَّماوات السَّبع في الكُرسيِّ إلا كحلقةٍ مُلقاة بأرضٍ فلاة، وفضل العرش على الكُرسيِّ: كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة**)) أخرجه ابن أبي شيبة وأبوالشَّيخ الأصبهانيُّ والبيهقيُّ(١).

وإنَّ معرفة مسيرة ما بين هذه المخلوقات العظيمة من السِّنين: يبعث العبد الذي هو أصغرُ المخلوقاتِ على مُراقبة ربِّ العالمين، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (ما بين السَّماء إلى الأرض: مسيرة خمسمائة عامٍ، ثُمَّ ما بين كُلِّ سمائيْن: مسيرة خمسمائة عامٍ، وغِلَظُ كُلِّ سماءٍ: مسيرة خمسمائة عامٍ، ثُمَّ ما بين السَّماء السَّابعة وبين

(١) العرش لابن أبي شيبة [الحديث رقم (٥٨)- ص٤٣٢-٤٣٣]، العظمة لأبي الشَّيخ الأصبهانيِّ [الحديث رقم (٢٠٦)- ٢/ ٥٦٩-٥٧٠]، الأسماء والصِّفات للبيهقيِّ [الحديث رقم (٨٥١)- ٢/ ٢٩٠-٢٩٢].

الكُرسيِّ: خمسمائة عامٍ، وما بين الكُرسيِّ وبين الماء: خمسمائة عامٍ، والكُرسيُّ فوق الماء، والله تعالى فوق العرش، ولا يخفى عليه من أعمالكم شيءٌ) أخرجه أبوالشَّيخ الأصبهانيُّ والبيهقيُّ(١).

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة الثَّامنة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب التَّاسع: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي التَّاسعة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت على إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فإنَّ الله سُبحانه وتعالى كما وسع من في السَّماوات ومن في الأرض بعلمه: فإنَّه قد وسعهم جميعًا بحفظه ومنع من زوال السَّماوات والأرض بحلمه، لذا وقع التَّنبيه على حفظ الإنس والجنِّ بحفظ من هو أعظم وأكبر منهُمَا، فالذي أمسك السَّماوات والأرض لا يُثقلُه ذلك ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾، كما قال الله تعالى: ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾(٢).

فمن أسماء الله جلَّ جلاله (الحفيظ) و(الحافظ)، فمن حَفِظَ الله: حفظه الله، كما أخرج أحمد والتِّرمذيُّ من حديث عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:

(١) العظمة لأبي الشَّيخ الأصبهانيِّ [الحديث رقم (٢٠٣)- ٢/ ٥٦٥-٥٦٦]، الأسماء والصِّفات للبيهقيِّ [الحديث رقم (٨٥١)- ٢/ ٢٩٩-٣٠١].
وله طُرقٌ يُصحِّح بعضها بعضًا، كما في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة للألبانيِّ [الحديث رقم (١٠٩)- ١/ ٢٢٣-٢٢٧].

(٢) سُورة غافر: الآية ٥٧.

(كنتُ خلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومًا فقال: يا غُلام؛ إنِّي أُعلِّمــك كلمات، احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفظ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سألتَ: فاســأل الله، وإذا استعنتَ: فاستعن بالله، واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوكَ بشيءٍ: لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بــشيءٍ: لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعَت الأقلامُ؛ وجفَّت الصُّحُف)(١).

فحفظ الله لعبده إمَّا أن يكون حفظًا له في مصالح دُنياه، وإمَّا أن يكون حفظ الله له في مصالح دينه وإيمانه وأُخراه.

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة التَّاسعة من هــذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها مــن المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

المطلب العاشر: المقصد العقديُّ لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

إنَّ هذه الجُملة هي العاشرة من جُمل هذه الآية الكريمة: وقد اشتملت علــى إحدى المقاصد العقديَّة العظيمة، فخُتمت هذه الآية الكريمة المُقرِّرة لاســتحقاق الله تعالى للأُلوهيَّة؛ بذكر عظمة الربِّ جلَّ جلاله وأنَّه موصوف بالعُلوِّ على البريَّة.

فالرَّبُّ جلَّ جلاله موصوفٌ بأنواع العُلوِّ الثَّلاثة على المخلوقات: فله سُبحانه وتعالى: عُلُوُّ القَدْرِ؛ وله عُلُوُّ القَهْرِ؛ وله عُلُوُّ الذَّات.

وقد دلَّ على صفة العُلُوِّ الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماع، مع توافق الفطرِ الــسَّليمة والعُقُولِ المُستقيمة بلا نزاع، ومجموع دلائل إثبات صفة الله تعالى على جميع خلقــه

(١) مُسند أحمد [الحديث رقم (٢٦٦٩)- ٤/ ٤٠٩-٤١٠]، سُنن التِّرمذيِّ [كتاب صفة القيامة والرَّقائق والورع/ باب (٥٩)- الحديث رقم (٢٥١٦)- ص٥٦٦-٥٦٧].

زُهاءَ ألفِ دليلٍ، منها ما هو مُستفادٌ بالتَّصريح ومنها ما هو مُستفادٌ بالاستنباط والتَّعليل(١).

وقد خُتمت الآية الكريمة المُقرِّرة لاستحقاق الله تعالى للأُلوهيَّة؛ بذكر عظمة الربِّ جلَّ جلاله وأنَّه موصوف بالعُلوِّ على البشريَّة، فخُتمت أعظم آيات الذِّكر الحكيم؛ بقول الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾.

فهذه بعض المقاصد العقديَّة العظيمة التي دلَّت هذه الجُملة العاشرة من هذه الآية الكريمة عليها، وفيها تنبيهٌ على مثيلها من الدَّلائل الكثيرة وتنويهٌ بنظيرها من المسائل الوفيرة التي أرشدت إليها.

(١) انظر: إعلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين لابن قيِّم الجوزيَّة ٤/ ٦٧-٧٦، الصَّواعق المُرسلة على الجهميَّة والمُعطِّلة له ١/ ٢٩٣-٢٩٥.

المبحث الثَّاني:

أثر التَّمسُّك بعُروة آية الكُرسيِّ الوُثقى في حفظ الإنسيِّ:

إنَّ الجُمل العشرة التي حوتها هذه الآية الكريمة؛ وما اشتملت عليه من المقاصد العقديَّة العظيمة: لها أعظم الأثر –بعد التَّمسُّك بعُروتها الوثقى قراءة وتدبُّرًا وعملًا– في حفظ الإنسان، فهي بمشيئة الله أرجى حافظٍ وأقوى حارسٍ يمنع المُستمسك بها من أذى وشرِّ الشَّيطان.

وإنَّما يجد أثر هذا الحفظ من كان مُستمسكًا بهذه الآية الكريمة في القراءة والتَّدبُّر والعمل، مُعتقدًا بجنانه ذاكرًا بلسانه عاملًا بأركانه بمقاصدها العقديَّة حتَّى يأتيه اليقين والأجل، وبيان ذلك في المطالب الثَّلاثة الآتية:

المطلب الأوَّل: أثر التَّمسُّك بعُروة قراءة آية الكُرسيِّ الوُثقى في حفظ الإنسان.

إنَّ المُستمسك بعُروة القراءة الوُثقى يجد أثر حفظها له على الدَّوام، وذلك إذا حافظ هذا القارئ على تلاوتها في المواطن الآتية بانتظامٍ:

الموطن الأوَّل: بعد صلاة الفجر، ويدلُّ على ذلك: ما أخرجه النَّسائيُّ في سُننه الكُبرى عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (**من قرأ آية الكُرسيِّ في دُبُر كُلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ: لم يمنعْهُ من دخولِ الجنَّة إلا أن يموت**)(١).

الموطن الثَّاني: قبل شُروق الشَّمس، ويدلُّ على ذلك: ما أخرجه النَّسائيُّ في

(١) سُنن النَّسائيِّ الكُبرى [كتاب عمل اليوم واللَّيلة/ ثواب من قرأ آية الكُرسيِّ دُبر كُلِّ صلاةٍ- الحديث رقم (٩٨٤٨)- ٩/ ٤٤].

سُننه الكُبرى عن مُحمَّد بن أُبيٍّ بن كعبٍ رحمه الله تعالى قال: (**كان لجدي جُرْنٌ من تمرٍ، فجعل يَجدُهُ ينقصُ، فحرسه ذات ليلة: فإذا هو بدابَّة شبْه الغُلام المُحتلم، فسلَّم عليه، فردَّ عليه السَّلام، فقال: من أنت؟ أجنٌّ أم إنسٌ؟ قال: لا؛ بل جنٌّ. قال: أعطني يدك، فإذا يَدُ كلبٍ؛ وشَعْرُ كلب. قال: هكذا خَلْقُ الجنِّ؟ قال: قد عَلمَتْ الجنُّ ما فيهم رجلٌ أشدُّ منِّي. قال: ما شأنك؟ قال: أُنبئتُ أنَّك رجلٌ تُحبُّ الصَّدقة، فأحببنا أنْ نُصيبَ من طعامك. قال: ما يُجيرُنا منكم؟ قال: هذه الآيةُ التي في سُورة البقرة: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾، إذا قُلتها حين تُصبحُ: أُجرت منَّا إلى أن تُمسيَ، وإذا قُلتها حين تُمسي: أُجرت منَّا إلى أن تُصبحَ، فغدا أُبيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره خبره، قال: صدق الخبيث**)(١).

الموطن الثَّالث: بعد صلاة الظُّهر، ويدلُّ على ذلك: ما تقدَّم في حديث أبي أُمامةَ رضي الله عنه.

الموطن الرَّابع: بعد صلاة العصر، ويدلُّ على ذلك: ما تقدَّم في حديث أبي أُمامةَ رضي الله عنه.

الموطن الخامس: قبل غُروب الشَّمس، ويدلُّ على ذلك: ما تقدَّم في حديث مُحمَّد بن أُبيٍّ بن كعبٍ رحمه الله تعالى.

الموطن السَّادس: بعد صلاة المغرب، ويدلُّ على ذلك: ما تقدَّم في حديث أبي أُمامةَ رضي الله عنه.

الموطن السَّابع: بعد صلاة العشاء، ويدلُّ على ذلك: ما تقدَّم في حديث أبي

(١) سُنن النَّسائيِّ الكُبرى [كتاب عمل اليوم واللَّيلة/ ذكر ما يُجير من الجنِّ والشَّياطين- الحديث رقم (١٠٧٣١)- ٩/ ٣٥٢-٣٥٣].

أُمامةَ رضي الله عنه.

الموطن الثَّامن: بعد دُخول البيت، ويدلُّ على ذلك: ما أخرجه التِّرمــذيُّ في سُننه عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه: (**أنَّه كانت له سَهْوَةٌ فيها تمرٌ، فكانت تجيءُ الغُولُ فتأخذُ منه، قال: فشكا ذلك إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: فاذهبْ؛ فإذا رأيتَها فَقُلْ: بسم الله، أجيبي رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قال: فأخذها فحَلَفَتْ أن لا تعودَ، فأرسلها، فجاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حَلَفَتْ أن لا تعودَ. فقال: كذبت، وهي مُعاودةٌ للكذب. قال: فأخذها مرَّة أُخرى، فحَلَفَتْ أن لا تعودَ، فأرسلها، فجاء إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حَلَفَتْ أن لا تعودَ. فقال: كذبت، وهي مُعاودةٌ للكذب، فأخذها فقال: ما أنا بتاركك حتَّى أذهبَ بكِ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقالت: إنِّي ذاكرةٌ لك شيئًا: آيةَ الكُرسيِّ، اقرأها في بيتك، فلا يقربُكَ شيطانٌ ولا غيرُه. قال: فجاء إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: فأخبره بما قالت، قال: صدقت؛ وهي كذوبٌ**)(١).

قال عبدالله بن عُبيد بن عُميرٍ رحمه الله تعالى: (كان عبدُالرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله عنه إذا دخل مترله: قرأ في زواياه آيةَ الكُرسيِّ) أخرجه ابن أبي شيبة في مُصنَّفه(٢).

قال عبَّاسٌ الدُّوريُّ رحمه الله تعالى: سمعتُ يحيى بن معينٍ رحمه الله تعالى يقول: (كنتُ إذا دخلتُ مترلي باللَّيل: قرأتُ آية الكُرسيِّ على داري وعيالي خمس مرَّات، فبينا أنا أقرأ: إذا شيءٌ يُكلِّمني: كم تقرأ هذا؟ كأن ليس إنسانٌ يُحسنُ يقرأُ غيرَك.

(١) سُنن التِّرمذيِّ [كتاب ثواب القُرآن/ باب (٣)- الحديث رقم (٢٨٨٠)- ص٦٤٤].
(٢) مُصنَّف ابن أبي شيبة [كتاب فضائل القُرآن/ في البيت الذي يُقرأ فيه القُرآن- رقم (٣٠٦٤٩)- ١٥/٤٦٨].

فقلتُ: فأرى هذا يسوءُك، واللهِ؛ لأزيدنَّك، فصرتُ أقرؤها في اللَّيلة: خمسين؛ ستِّين مرَّة)[1].

الموطن التَّاسع: عند الإيواء إلى الفراش، ويدلُّ على ذلك: ما أخرجه البُخاريُّ في صحيحه عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: (**وكلني رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطَّعام، فأخذته وقُلتُ: واللهِ؛ لأرفعنَّك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قال: إنِّي مُحتاجٌ وعليَّ عيالٌ ولي حاجةٌ شديدةٌ. قال: فخلَّيت عنه، فأصبحت فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: يا أبا هُريرة؛ ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قُلتُ: يا رسول الله؛ شكا حاجةً شديدةً وعيالًا، فرحمته فخلَّيت سبيله. قال: أما إنَّه قد كذبك وسيعود. فعرفتُ أنَّه سيعود لقول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إنَّه سيعود، فرصدتُه، فجاء يحثو من الطَّعام، فأخذته فقُلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قال: دعني فإنِّي مُحتاجٌ وعليَّ عيالٌ؛ لا أعود. فرحمته فخلَّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: يا أبا هُريرة؛ ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله؛ شكا حاجةً شديدةً وعيالًا، فرحمته فخلَّيت سبيله. قال: أما إنَّه كذبك وسيعود، فرصدتُّه الثَّالثة، فجاء يحثو من الطَّعام، فأخذته فقُلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله، وهذا آخرُ ثلاث مرَّات إنَّك تزعمُ لا تعود ثُمَّ تعود. قال: دعني أُعلِّمُك كلمات ينفعك اللهُ بها. قُلتُ: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك: فاقرأ آية الكُرسيِّ: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ حتَّى تختم الآية، فإنَّك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربنَّك شيطانٌ حتَّى تُصبح. فخلَّيت سبيله، فأصبحت**

(١) انظر: تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام للذَّهبيِّ ١٧/٤٠٨، سير أعلام النُّبلاء له ١١/٨٧.

فقال لي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ما فعل أسيرك البارحة؟ قُلتُ يا رسول الله؛ زعم أنَّه يُعلِّمني كلمات ينفعني اللهُ بها، فخلَّيت سبيله. قال: ما هي؟ قُلتُ: قال لي: إذا أويت إلى فراشك: فاقرأ آية الكُرسيِّ من أوَّلها حتَّى تختم: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتَّى تُصبح -وكانوا أحرص شيءٍ على الخير-. فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: أما إنَّه قد صدقك وهو كذوبٌ، تعلم من تُخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قال: لا. قال: ذاك شيطانٌ)(١).

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما أرى أحدًا يَعْقِلُ دخلَ في الإسلام؛ ينامُ حتَّى يقرأ آية الكُرسيِّ) أخرجه ابن أبي شيبة في مُصنَّفه(٢).

فمن حافظ على قراءة آية الكُرسيِّ بهذه المواطن بانتظامٍ: فقد استمسك بعُروة الحفظ الوُثقى التي ليس لها انفصام(٣).

المطلب الثَّاني: أثر التَّمسُّك بعُروة تدبُّر آية الكُرسيِّ الوُثقى في حفظ الإنسان.

لقد اشتملت هذه الآيةُ الكريمة على عشر جُملٍ يُصدِّق بعضُها بعضًا في الوعظ، وحَوَتْ خمسين كلمةً مُثبتةً ونافيةً شافيةً وكافيةً وآخذٌ بعضُها بحُجَزِ بعضٍ.

(١) صحيح البُخاريِّ [كتاب الوَكالة/ باب إذا وكَّل رجلاً فترك الوكيل شيئًا فأجازه المُوكِّل فهو جائزٌ وإن أقرضه إلى أجلٍ مُسمَّى جاز- الحديث رقم (٢٣١١)- ٢/ ٢٣١١-٢٣١٣].

(٢) مُصنَّف ابن أبي شيبة [كتاب الدُّعاء/ باب ما قالوا في الرَّجل إذا أخذ مضجعه وأوى إلى فراشه ما يدعو به- رقم (٢٩٩٢٧)- ١٥/ ١٥٩].

(٣) هذه هي جماع المواطن المُقيَّدة، وأمَّا المواطن المُطلقة: فمردُّ قراءتها إلى نيَّة كُلِّ إنسانٍ؛ دُون تقييدها بزمانٍ ولا مكانٍ.

فلمَّا افْتُتِحَتْ آيةُ الكُرسيِّ باسم الجلالة ﴿ **اللَّهُ** ﴾؛ وهو الاسم الذي لم يُطلق أبدًا على أحدٍ سواه: ناسب أن يذكر انفراده بأسماء الجلال وصفات الجمال ونعوت الكمال التي لا يستحقُّها إلا هو، فأُتبع اسم الجلالة ﴿ **اللَّهُ** ﴾ بإثبات تفرُّده بجميع معاني الأُلوهيَّة فقال: ﴿ **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ** ﴾.

ثُمَّ ذكر معنى من معاني أُلوهيَّة ذِي الجَبَرُوتِ والملكوت؛ وأنَّه استحقَّ أن يُفرد بالأُلوهيَّة لأنَّه ﴿ **الْحَيُّ** ﴾ الذي لا يموت؛ واستأثر بأن يُوحَّد بالعُبوديَّة لأنَّه ﴿ **الْقَيُّومُ** ﴾ الذي لا يفوت، فمن أشرك مع الله تعالى إلهًا آخر فهو ملومٌ، لأنَّه لا يستحقُّ العبادة إلا ﴿ **الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾.

وكمال الحياة والقيُّوميَّة في نفي الموت وهو الوفاة الكُبرى، فضلًا عمَّا يُتوهَّم من حصول النَّوم وهو الوفاة الصُّغرى، ولَمَّا كان نفي النَّوم لا يقتضي نفي مُقدِّماته من النُّعاس: جاء التَّنصيص على نفي النَّوم ومُقدِّماته رفعًا للالتباس، فتقرَّر استحقاق الأُلوهيَّة من جميع الوُجوه في نُفوس القوم، لَمَّا خُوطبوا بقول الله تعالى: ﴿ **لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ** ﴾.

ولَمَّا كان من وجوه استحقاق العُبوديَّة التَّصرُّف المُطلق في المعبودين، لأنَّهم جميعًا في قبضته وتحت تصرُّفه فواجبٌ أن يُخلصوا له الدِّين، فلله تعالى الدِّين الخالص فيُتقرَّب إليه زُلفى في النَّفل والفَرْض: لأنَّه سُبحانه وتعالى: ﴿ **لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾.

فالرَّبُّ جلَّ جلاله ما خلق عباده ليتكثَّر بهم من قلَّة، وما أوجدهم في هذه الحياة ليتعزَّز بعَدَدِهم بعد ذِلَّة، وإنَّما خلقهم لعبادته وهي أشرف غايةٍ وأسمى علَّةٍ، فليس بين الله تعالى وبين أحدٍ من خلقه نسب؛ إلا ما قدَّمه العبد بين يديه من حُجَّةٍ وسبب، فلا يمنُّ العبد على الله تعالى بما تقرَّب إليه من الطَّاعة، ويظنُّ أنَّه استحقَّ أن يتقدَّم بين يدي مولاه بالشَّفاعة، فلا يتقدَّم بين يديْه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسلٌ

لعظيم قَدْرِهِ وشأنِهِ، فمَنْ هذا عظيمُ مُلْكِهِ: ﴿ **مَن ذَا الَّـذِي يَـشْفَعُ عِنْـدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾.

فلا يُحدِّث أحدٌ نفسه أن يتقدَّم بين يديْه، لأنَّه مُوقنٌ أنَّ ربَّه مُحيطٌ به ومُطَّلعٌ عليْه، فعلْمُ الله تعالى لم يسبقْه جهلٌ وحاشاه، ولا يلحقُه اختلاطٌ أو التباسٌ فينساه، فهو يُدركُ العبادَ ويعرفُ من سَلَفَهُمْ ومن خَلَفَهُمْ، كما أنَّه: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾.

فهذا عِلْمُ الله تعالى المُحيط بجميع الخليقة، وأما عِلْمُ المخلوقين بـربِّهم علـى الحقيقة، فقد حجب الله تعالى عنهم معرفة ما غيَّبه عنهم من المُغيَّبات، فهو سُبحانه المُستأثر بعِلْم ما في الأرض وما في السَّماوات، فمن ادَّعى مِنْ خَلْقِ الله تعالى معرفـة شيءٍ مِنْ علم الغيب من غير طريق الوحي فقد ظلم وأساء، لإقرارهم باسـتحكام جهلهم وأنَّهم عاجزون ﴿ **وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء** ﴾.

فهذه سعةُ علم الله تعالى الدَّالة على أنَّه الواسع في جميع أسمائه وصفاته ونُعوته، فلذا جاء التَّنبيه بأنَّه قد ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ وجميعَ ملكوتِـه، فكما أنَّه سُبحانه قد وسع مَنْ في السَّماوات ومَنْ في الأرض بعلمه: فقد وسـعهم جميعًا بحفظه ومنع مِنْ زوال السَّماوات والأرض بحلمه، لذا وقع التَّنبيه على حفـظ الإنس والجنِّ بحفظ مَنْ هو أعظم وأكبر منهُمَا، فالذي أمسك السَّماوات والأرض لا يُثقلُه ذلك ﴿ **وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾.

فالله الذي تقرَّرت أسماؤه وأوصافه هو المُتعالي عن الشَّريك والسَّميِّ والمثيـل، لأنَّه أعظم من كُلِّ إلهٍ بما سبق في هذه الآية الكريمة من البيان والتَّعليل، فلعُلُوِّه عن أن يُشْرَكَ معه إلهٌ آخر في العُبوديَّة، ولعظمته التي دلَّت على تفرُّده بمعـاني الأُلوهيَّـة: خُتمت هذه الآية بما يُصدِّق أوَّلها ويدلُّ على أنَّ توحيد الله تعالى هو أمارة التَّقـدير وعلامة التَّعظيم، وأنَّ من لم يُنزِّهه عن الأنداد فما اعتقد عظمته وعلياءه وأنَّه سـيِّده

ومولاه: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(١).

المطلب الثَّالث: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بآية الكُرسيِّ الوُثقى في حفظ الإنسان.

إنَّ الإنسان لا بُدَّ له من وعد وترغيب يشدُّهُ؛ وحَدٍّ بحُدُود شرعيَّة من الوعيد والتَّرهيب يردُّه، وهذه ثمرة شجرة التَّدبُّر التي تُهذِّب الفُؤاد وتُرقِّقُهُ، والسَّبيل لانبعاث الأعمال الصَّالحة التي تُصدِّقُهُ، والطَّريق إلى التَّجمُّل بأخلاق العُبُوديَّة التي تُحقِّقُهُ، وبيان ذلك في الفُرُوع العشرة الآتية:

الفرع الأوَّل: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة الأُولى ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ في حفظ الإنسان: هُو تحقيق شُرُوط (لا إله إلا الله) التي يجب على كُلِّ عبد أن يستكمل معرفتَها، وهي سبعةُ شروطٍ قد بَيَّنَتْ بجلاءٍ الدَّلائلُ الشَّرعيَّةُ مُقتضياتها ومعانيها وعدَّتَها.

فأوَّلُ ذلك علمُ القائلِ بمعناها؛ المُصاحبُ لنُطقه ولفظه بمبناها، وثاني ذلك يقينُه المُنافي لشكِّه وريبه؛ فيتوافق نُطقُ لسانه مع استيقانِ قلبِه، وثالثُ ذلك قبولُه بمُقتضاها؛ المُضادُّ لحالِ من ردَّها وأباها، ورابعُ ذلك انقيادُه لجميع ما دلَّت عليه؛ المُنافي لتركه حقيقةَ ما أرشدت إليه، وخامسُ ذلك صدقُه في الأَخْذ بفحواهَا؛ المُباينُ من كلِّ وجهٍ للكذبِ في دعواها، وسادسُ ذلك إخلاصُه فيها مع حُسنِ نِيَّته؛ المُنزَّهُ عن شوائبِ شركه وبدعته ومعصيته، وسابعُ ذلك المحبَّةُ لها والمُوالاةُ لأهلها العاملينَ بهُداها؛ وبُغضُ مَنْ عبدَ هواهُ و لم يلتزم بشُروطها وعاداها.

فمن أحاط بهذه الشُّروط علمًا وعملًا فهو الموعود بالجنَّة؛ والمُبشَّرُ على الأخذ بها بقُوَّةٍ بالفضل والإحسان والمنَّة، فقد أخرج البُخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ

(١) انظر: نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور للبقاعيِّ ٤/ ٢٧-٤٠.

رضي الله عنه قال: (**أتيت النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم وهو نائمٌ؛ عليه ثوبٌ أبيضُ، ثُمَّ أتيتُه فإذا هو نائمٌ، ثُمَّ أتيتُه وقد استيقظ، فجلستُ إليه فقال: ما من عبدٍ قال: لا إله إلا الله؛ ثُمَّ مات على ذلك إلا دخل الجنَّة. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. -ثلاثًا-. ثُمَّ قال في الرَّابعة: على رغم أنفِ أبي ذرٍّ. فخرج أبوذرٍّ وهو يقول: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذرٍّ**)(١).

الفرع الثَّاني: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة الثَّانية ﴿**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ في حفظ الإنسان: أن يجمع العبد بينهما في دعائه؛ ويُضمِّنهما في استغاثته لربِّه ونجائه، كما أخرج التِّرمذيُّ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: (**كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إذا كربه أمرٌ قال: يا حيُّ يا قيُّوم برحمتك أستغيث**)(٢).

كما يُشرع لكُلِّ مُسلمٍ أن يدعو بهما في الصَّباح وفي المساء؛ وأن يُوصي بالمُحافظة على قولهما في هذيْن الوقتيْن الأبناء، فعن أنس ابن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لفاطمة رضي الله عنها: (**ما يمنعك أن تسمعي ما أُوصيك به: أن تقولي إذا أصبحتِ وإذا أمسيتِ: يا حيُّ يا قيُّوم؛ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كُلَّه، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ**) أخرجه النَّسائيُّ في سُننه الكُبرى والحاكم في مُستدركه(٣).

---

(١) صحيح البُخاريِّ [كتاب اللِّباس/ باب الثِّياب البيض- الحديث رقم (٥٨٢٧)- ٤/ ١٨٥٨-١٨٥٩]، صحيح مُسلمٍ [كتاب الإيمان/ باب من مات لا يُشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة ومن مات مُشركًا دخل النَّار- الحديث رقم (٩٤)- ١/ ٩٤-٩٥].

(٢) سُنن التِّرمذيِّ [كتاب الدَّعوات/ باب (٩٢)- الحديث رقم (٣٥٢٤)- ص٨٠٠].

(٣) سُنن النَّسائيِّ الكُبرى [كتاب عمل اليوم واللَّيلة/ باب ما يقول إذا أمسى: نوعٌ آخر- الحديث رقم (١٠٣٣٠)- ٩/ ٢١٢]، مُستدرك الحاكم [كتاب الدُّعاء والتَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح والذِّكر- الحديث رقم (٢٠٠٠)- ١/ ٧٣٠].

الفرع الثّالث: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة الثَّالثة ﴿**لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ**﴾ في حفظ الإنسان: تتريه العبد ربَّه المُدبِّر المُصرِّف أن يأخذه نومٌ أو نُعاس؛ وهو القائم على كلِّ نفسٍ بما كسبت من نُفوس النَّاس؟ فلو جاز عليه أن ينعس أو ينام؛ فمن الذي يُحصي أعمال الأنام؟

فعن أبي مُوسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: (**قام فينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بخمس كلمات فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَع إليه عمل اللَّيل قبل عمل النَّهار وعمل النَّهار قبل عمل اللَّيل، حجابه النُّور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**) أخرجه مُسلمٌ(١).

الفرع الرَّابع: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة الرَّابعة ﴿**لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ في حفظ الإنسان: أن يعتقد العبد أنَّ مالك السَّماوات والأرض ما خلق مَنْ فيهما باطلًا، وأنَّ الربَّ حاشاه أن يترك أحدًا منهم هملًا فيكون فيهما عاطلًا، فإنَّ هذا من الظُّلم الذي تتزّه الله تعالى عنه فلا يجوز بحالٍ من الأحوال أن يُنسب إليْه، فالسَّعيد من أهل السَّماوات وأهل الأرض من رجع في أمره إليْه وعوَّل في شأنه عليْه، فقد أخرج مُسلمٌ في صحيحه عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنَّه قال: (**يا عبادي؛ إنِّي حرَّمت الظُّلم على نفسي؛ وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا. يا عبادي؛ كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته؛ فاستهدوني أَهْدكُم. يا عبادي؛ كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أُطْعِمْكُم. يا عبادي؛ كلُّكم عارٍ إلا من كسوته؛ فاستكسوني**

(١) صحيح مُسلمٍ [كتاب الإيمان/ باب في قوله عليه السَّلام: (**إنَّ الله لا ينام**)- الحديث رقم (١٧٩)- ١/ ١٦١-١٦٢].

أَكْسُكُم. يا عبادي؛ إنَّكم تُخطئون باللَّيل والنَّهار؛ وأنا أغفر الـذُّنوب جميعًا؛ فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي؛ إنَّكم لن تبلغوا ضَرِّي فتَضُرُّوني؛ ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي؛ لو أنَّ أوَّلكم وآخركم؛ وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في مُلْكي شيئًا. يا عبادي؛ لو أنَّ أوَّلكم وآخركم؛ وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك من مُلْكي شيئًا. يا عبادي؛ لو أنَّ أوَّلكم وآخركم؛ وإنسكم وجنَّكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني؛ فأعطيتُ كُلَّ إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك ممَّا عندي إلا كما يَنْقُصُ المخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحر. يا عبادي؛ إنَّما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثُمَّ أُوفِّيكم إيَّاها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه)(1).

الفرع الخامس: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة الخامسة ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه**﴾ في حفظ الإنسان: أنَّ العبد إذا انتهك حُرمة التَّوحيد فكان من المُشركين؛ أو قطع الصِّلة بربِّه تبارك وتعالى فلم يك من المُصلِّين: فهيهات هيهات أن تنفعه شفاعة الشَّافعين، كما قال الله تبارك وتعالى في الكتاب المُبين: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِين**﴾(2).

---

(١) صحيح مُسلمٍ [كتاب البرِّ والصِّلة والآداب/ باب تحريم الظُّلم- الحديث رقم (٢٥٧٧)- ٤/ ١٩٩٤-١٩٩٥].

(٢) سورة المُدَّثِّر: الآيات ٣٨-٤٨.

الفرع السَّادس: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة السَّادسة ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ في حفظ الإنسان: أنَّ كمالَ عِلْمِ الله سُبحانه وتعالى بأحوال العباد: يستدعي التَّزوُّد بالتَّقوى والاستعداد ليوم المعاد، فالعُقلاء مِنْ أُولي الألباب والفُطْنُ مِنْ أولي الأبصار والألبَّاء مِنْ أُولى النُّهَى: مَنْ أعدُّوا العُدَّة لأُخراهم لعلمهم أنَّ ربَّهم تعالى ما ضلَّ وما نَسِيَ وما سَهَا.

فالإله المُستحقُّ وحده للعُبوديَّة: هو من تفرَّد بكمال الرُّبوبيَّة، والرَّبُّ لا يتوحَّد بجلال الرُّبوبيَّة إلا إذا كان خالقًا، ولا يستحقُّ اسم الخالق إلا إذا كان قادرًا عالمًا رازقًا، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا**﴾(١).

فلا يغترنَّ العبدُ بستر الله عزَّ وجلَّ فإنَّ الله لا يغفل، وعلمُه مُحيطٌ به فلن يستتر عنه بظنِّه بما يعمل، ﴿**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(٢).

الفرع السَّابع: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة السَّابعة ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء**﴾ في حفظ الإنسان: أنَّ من ادَّعى علم الغيب فقد افترى على الله الكذب، وقد باء بعظم فريته بسخطٍ من الله تعالى وغضب، فقد أخرج مُسلمٌ في صحيحه عن مسروق بن الأجدع رحمه الله تعالى قال: (كُنتُ مُتَّكِئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة؛ ثلاثٌ من تكلَّم بواحدة منهنَّ فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هُنَّ؟ قالت: من زعم أنَّ مُحمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم رأى ربَّه فقد

(١) سورة الطَّلاق: الآية ١٢.

(٢) سورة هُود: الآية ١٢٣.

أعظم على الله الفرية. قال: وكُنتُ مُتَّكئًا فجلستُ فقلتُ: يا أُمَّ المُؤمنين؛ أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾(١). ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾(٢). فقالت: أنا أوَّل هذه الأُمَّة سأل عن ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: إنَّما هو جبريل، لم أره على صُورته التي خُلِقَ عليها غير هاتين المرَّتيْن، رأيتُه مُنهبطًا من السَّماء؛ سادًا عظَمُ خلقه ما بين السَّماء إلى الأرض. فقالت: أو لم تسمع أنَّ الله يقول: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٣). أو لم تسمع أنَّ الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٤). قالت: ومن زعم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كتم شيئًا من كتاب الله: فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(٥). قالت: ومن زعم أنَّه يُخبر بما يكون في غد: فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾(٦))(٧).

وفي قول الرَّبِّ تبارك وتعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾: عَلَمٌ من أعلام استحقاق الله عزَّ وجلَّ لكمال الأُلوهيَّة فلا يكون شيءٌ إلا

(١) سورة التَّكوير: الآية ٢٣.
(٢) سورة النَّجم: الآية ١٣.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٤) سورة الشُّورى: الآية ٥١.
(٥) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٦) سورة النَّمل: الآية ٦٥.
(٧) صحيح مُسلم [كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وهل رأى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ربَّه ليلة الإسراء- الحديث رقم (١٧٧)- ١/ ١٥٩].

إذا شاء، ولا يُحيط أحدٌ في السَّماوات والأرض بشيءٍ ممَّا يعلمه الله تعالى إلا بما شاء، ولا يُحيط أحدٌ في السَّماوات والأرض بشيءٍ من أسماء الله وصفاته إلا بما شاء، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (**ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللَّهُمَّ إنِّي عبدك؛ ابن عبدك؛ ابن أَمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حُكمك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُك: أسألك بكُلِّ اسمٍ هُو لك؛ سمَّيت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القُرآن ربيع قلبي؛ ونُور صدري؛ وجلاء حُزني؛ وذهاب همِّي، إلا أذهب الله همَّه وحُزْنه؛ وأبدله مكانه فرحًا. قال: فقيل: يا رسول الله؛ ألا نتعلَّمها؟ فقال: بلى؛ ينبغي لمن سمعها أن يتعلَّمها**) أخرجه أحمد(١).

الفرع الثَّامن: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة الثَّامنة ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ في حفظ الإنسان: أنَّ الله تعالى أودع تعظيمَ هذا الكُرسيِّ الواسعِ في النُّفوس، لأنَّ استشعار سَعَته يحمل على تعظيم خالقه المَلِكِ القُدُّوس، فعن جابر بن عبدالله الأنصاريِّ رضي الله عنهما قال: (**لَمَّا رَجَعَتْ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مُهاجِرَةُ البحر، قال: ألا تُحدِّثوني بأعاجيبَ ما رأيتم بأرض الحبشة؟ قال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جُلُوسٌ؛ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم؛ تحمل على رأسها قُلَّةً من ماء، فمرَّت بفتى منهم، فجعل إحدى يديهِ بين كتفيْها؛ ثُمَّ دفعها، فخرَّت على رُكبتيْها؛ فانكسرت قُلَّتُها، فلمَّا ارتفعت: التفتت إليه؛ فقالت: سوف تعلم يا غُدَر؛ إذا وضع الله الكُرسيَّ؛ وجمع الأوَّلين والآخرين، وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرُك عنده غدًا؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: صَدَقَتْ؛ صَدَقَتْ،**

(١) مُسند أحمد [الحديث رقم (٣٧١٢)- ٦/ ٢٤٦-٢٤٧].

كيف يُقدِّس الله أُمَّةً لا يُؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟) أخرجه ابن ماجه(١).

الفرع التَّاسع: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة التَّاسعة ﴿**وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ في حفظ الإنسان: أنَّ السَّعيد من سأل الله تعالى في ليله ونهاره أن يحفظه في دينه ودُنياه، والشَّقيُّ من أعرض عن سُؤال الله تعالى فضاعت مصالح أُولاه وأُخراه.

وقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يسأل ربَّه الحفيظ أن يحفظه من كُلِّ بلاء، فيسأل الله أن يحفظه إذا آوى إلى فراشه وفي كُلِّ صباح ومساء، كما أخرج البُخاريُّ ومُسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (**إذا أوى أحدكم إلى فراشه: فليأخذ داخلةَ إزاره؛ فلينفض بها فراشه، وليُسَمِّ الله، فإنَّه لا يعلم ما خلَّفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع: فليضطجع على شقه الأيمن؛ وليقل: سُبحانك اللهم ربِّي بك وضعت جنبي؛ وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي: فاغفر لها، وإن أرسلتها: فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصَّالحين**)(٢).

وقال عبدالله بن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما: (**لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يدعُ هؤلاء الدَّعوات حين يُصبح وحين يُمسي: اللهم إنِّي أسألك العافية في الدُّنيا والآخرة، اللهمَّ إني أسألك العفو والعافية في ديني ودُنياي وأهلي ومالي، اللَّهُمَّ استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي؛**

---

(١) سُنن ابن ماجه [كتاب الفتن/ باب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر- الحديث رقم (٤٠١٠)- ص٦٦٢-٦٦٣].

(٢) صحيح البُخاريِّ [كتاب الدَّعوات/ باب (١٣)- الحديث رقم (٦٣٢٠)- ٨/ ٨٧]، صحيح مُسلمٍ [كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار/ باب ما يقول عند النَّوم وأخذ المضجع- الحديث رقم (٢٧١٤)- ٤/ ٢٠٨٤-٢٠٨٥].

وعن يميني وعن شمالي؛ ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي) أخرجه أحمد وأبوداود والنَّسائيُّ وابن ماجه(١).

الفرع العاشر: أثر التَّمسُّك بعُروة العمل بالجُملة العاشرة ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ في حفظ الإنسان: أنَّ في هذيْن الاسميْن الكريميْن تسبيح الربِّ المُستعان المعبود، وقد أُمر المُصلِّي بكُلِّ صلاةٍ أن يقولهما في كُلِّ رُكوعٍ وسُجودٍ، فعن حُذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: **(أنَّه صلَّى مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فكان يقول في رُكوعه: سُبحان ربِّي العظيم، وفي سُجوده: سُبحان ربِّي الأعلى، وما أتى على آية رحمةٍ: إلا وقف وسأل، وما أتى على آية عذابٍ: إلا وقف وتعوَّذ)** أخرجه أحمد وأبوداود والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ(٢).

فتأمَّل في هذين التَّسبيحيْن وفي اختصاص وصف العظمة بحال الرُّكوع؛ وفي اختصاص وصف العُلُوِّ بحال السُّجود الدَّالِّ على الذُّلِّ والخُضوع، فأُمر المُصلِّي أن يُسبِّح الله تعالى بذكر عظمته إذا انحنى راكعًا لربِّه ومولاه، وأُمر المُصلِّي أن يُسبِّح الله تعالى بذكر عُلُوِّه إذا سجد لربِّه ودعاه وناجاه، وذلك لأنَّ الرُّكوع كالمُقدِّمة بين يَدَيْ ما بعده من السُّجود؛ وكالتَّوطئة لدُعاء السَّاجد الذي سيُناجي به المُستعان

---

(١) مُسند أحمد [الحديث رقم (٤٧٨٥)- ٨/ ٤٠٣]، سُنن أبي داود [كتاب الأدب/ باب ما يقول إذا أصبح- الحديث رقم (٥٠٧٤)- ص٧٦٠]، سُنن النَّسائيِّ [كتاب الاستعاذة/ باب الاستعاذة من الخسف- الحديث رقم (٥٥٢٩-٥٥٣٠)- ص٨٣٣]، سُنن ابن ماجه [كتاب الدُّعاء/ باب ما يدعو به الرَّجل إذا أصبح وإذا أمسى- الحديث رقم (٣٨٧١)- ص٦٣٨].

(٢) مُسند أحمد [الحديث رقم (٢٣٢٤٠)- ٣٨/ ٢٧٥-٢٧٦]، سُنن أبي داود [كتاب الصَّلاة/ باب ما يقول الرَّجل في رُكوعه وسُجوده- الحديث رقم (٨٧١)- ص١٣٩]، سُنن التِّرمذيِّ [أبواب مواقيت الصَّلاة/ باب ما جاء في التَّسبيح في الرُّكوع والسُّجود- الحديث رقم (٢٦٢)- ص٧٥]، سُنن النَّسائيِّ [كتاب الافتتاح/ باب تعوُّذ القارئ إذا مرَّ بآية عذابٍ- الحديث رقم (١٠٠٨)- ص١٦٥].

المعبود، فعن عبدالله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (**كشف رسول الله صـــلَّى الله عليه وسلَّم السِّتارة؛ والنَّاسُ صفوفٌ خلف أبي بكرٍ فقال: أيُّها النَّاس؛ إنَّه لم يبق من مُبشِّرات النُّبوة إلا الرُّؤيا الصَّالحة؛ يراها المُسلمُ أو تُرى له، ألا وإنِّي نُهيـــتُ أن أقرأ القُرآن راكعًا أو ساجدًا، فأمَّا الرُّكوع: فعظِّموا فيه الربَّ عزَّ وجلَّ، وأمَّا السُّجود: فاجتهدوا في الدُّعاء، فقَمِنٌ أن يُستجاب لكم**) أخرجه مُسلمٌ(١).

(١) صحيح مُسلم [كتاب الصِّلاة/ باب النَّهي عن قراءة القُرآن في الرُّكوع والسُّجود- الحديث رقم (٤٧٩)- ١/ ٣٤٨].

خاتمة البحث

إنَّ مجموع ما في هذه الورقات؛ وما اندرج تحتها من كلمات: ما هي إلا ومضاتٌ وإشاراتٌ؛ ووراءها ما وراءها من العبارات، ولكن حسبنا أن نُوجز في خاتمة هذا البحث الذي موضوعه: (**المَقَاصِدُ العَقَدِيَّةُ العَشَرَةُ لآيَةِ الكُرْسِيِّ وَأَثَرُ التَّمَسُّكِ بِعُرْوَتِهَا الوُثْقَى فِي حِفْظِ الإِنْسِيِّ**) بعض النَّتائج المُستفادة من البحث وهي:

١- من نعمة الربِّ الجليل: أن يسَّر لعباده التَّنْزيل، فقد يسَّر للحفظ مبانيه، ويسَّر للفهم معانيه، ويسَّر للامتثال أوامرَهُ وللاجتناب نواهيه.

٢- التَّدبُّر لكلام الله تعالى أعظمُ طاعةٍ، والهجر لهذا التَّدبُّر أعظمُ تفريطٍ وإضاعة.

٣- الهجرُ لتلاوةِ القُرآنِ الكريمِ عِدَّةُ أنواعٍ، فحظٌّ للقُلوب وحظٌّ للألسن وحظٌّ للأسماع.

٤- إنَّ شريف التَّدبُّر ولطيف التَّفقُّه بآيات الذِّكر الحكيم: يدلُّ على ما فيها من جليل المعاني والفضل العظيم.

٥- تكاثرت آثار فضل آية الكُرسيِّ الجليَّة، كما قد توافرت أخبار منزلتها السَّنيَّة.

٦- آية الكُرسيِّ هي أعظمُ آيةٍ في كتاب الله تعالى على الإطلاق، وعظمتُها تفوقُ عظمةَ ما في الأرضِ والسَّماواتِ السَّبعِ الطِّباق.

٧- قد اشتملت آيةُ الكُرسيِّ الكريمة على عشر جُملٍ يُصدِّق بعضُها بعضًا في الوعظ، وحَوَتْ خمسين كلمةً مُثبتةً ونافيةً شافيةً وكافيةً وآخذٌ بعضُها بحُجَزِ بعض.

٨- من تأمَّل ما يُثمره حُسنُ التَّبصُّر والتَّدبُّر والتَّفكُّر في معاني آي الذِّكر

الحكيم: استرشد بها في أُمور دينه ودُنياه واستهدى بها في أُخراه إلى الصِّراط المُستقيم.

٩- إنَّ الجُمل العشرة التي حوتها آية الكُرسيِّ الكريمة: قد اشتملت على كثيرٍ من المقاصد العقديَّة العظيمة.

١٠- إنَّ لآية الكُرسيِّ أعظم الأثر -بعد التَّمسُّك بعُروتها الوثقى قراءة وتدبُّرًا وعملًا- في حفظ الإنسان، فهي بمشيئة الله أرجى حافظٍ وأقوى حارسٍ يمنع المُستمسك بها من أذى وشرِّ الشَّيطان.

والحمد لله أولًا وآخرًا؛ وظاهرًا وباطنًا.

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة

- **الأسماء والصِّفات**: أحمد بن الحسين البيهقيُّ – حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبدالله بن مُحمَّد الحاشديُّ – مكتبة السَّواديِّ للتَّوزيع (جدَّة/المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

- **إعلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين**: مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة – قرأه وقدَّم له وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه وآثاره: مشهور بن حسن آل سلمان – دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣ھ).

- **تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ- تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبدالسَّلام تدمري- دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان)- الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

- **تفسير القرآن العظيم**: عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الرَّازيُّ المعروف بابن أبي حاتمٍ- مكتبة نزار مُصطفى الباز (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)- الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

- **سلسلة الأحاديث الصَّحيحة وشيءٌ من فقهها وفوائدها**: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ – مكتبة المعارف للنَّشر والتَّوزيع (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

- **سُنن ابن ماجه**: مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ المعروف بابن ماجه – حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ – اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان – مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) – الطَّبعة الأُولى.

- **سُنن أبي داود**: سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ – حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ – اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان – مكتبة المعارف

(الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — الطَّبعة الأُولى.

- **سُنن التِّرمذيِّ**: مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ — حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ — اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان - مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — الطَّبعة الأُولى.

- **السُّنن الكُبرى**: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ — دار المعرفة (بيروت/لبنان) — (١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

- **سُنن النَّسائيِّ**: أحمد بن شُعيب النَّسائيُّ — حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ — اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان - مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — الطَّبعة الأُولى.

- **سير أعلام النُّبلاء**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ — حقَّقه وخرَّج أحاديثه: مجموعةٌ من المحقِّقين؛ بإشراف: شعيب الأرنؤوط — مؤسسة الرِّسالة (بيروت/لبنان) — الطبعة الثَّامنة (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

- **صحيح البُخاريِّ**: مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ — تحقيق: مُحمَّد علي القطب — المكتبة العصريَّة (بيروت/لبنان) — (١٤١١هـ-١٩٩١م).

- **صحيح مُسلمٍ**: مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ — حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّد فُؤاد عبدالباقي — المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

- **الصَّواعق المُرسلة على الجهميَّة والمُعطِّلة**: مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة — حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: الدُّكتور/ عليُّ بن مُحمَّد الدَّخيل الله — دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — النَّشرة الثَّانية (١٤١٢هـ).

- **الفوائد**: مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة — تحقيق: مُحمَّد عُزير شمس — إشراف: بكر بن عبدالله أبوزيد- تمويل مُؤسَّسة سُليمان بن عبدالعزيز الرَّاجحيِّ الخيريَّة- دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة

السُّعوديَّة) — الطَّبعة الأُولى (١٤٢٩هـ).

- **كتاب العظمة**: عبدالله بن مُحمَّد بن جعفر المعروف بأبي الشَّيخ الأصبهانيِّ — دراسة وتحقيق: رضاء الله بن مُحمَّد إدريس المُباركفوري — دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — النَّشرة الأُولى (١٤٠٨هـ).

- **مُحمَّد بن عُثمان بن أبي شيبة وكتابه العرش —دراسةٌ وتحقيقٌ—**: الدُّكتور/ مُحمَّد بن خليفة التَّميميُّ — مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

- **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**: مُحمَّد بن أبي بكر بن أيُّوب المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة — تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجُليِّل — دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) — الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

- **المُستدرك على الصَّحيحين**: مُحمَّد بن عبدالله الحاكم — دراسة وتحقيق: مُصطفى عبدالقادر عطا — دار الكُتب العلميَّة (بيروت/لبنان) — الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

- **مُسند الإمام أحمد بن حنبل**: أحمد بن حنبل الشَّيبانيُّ — حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المحقِّقين؛ بإشراف: شُعيب الأرنؤوط — مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/لبنان) — الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

- **مُصنَّف ابن أبي شيبة**: أبوبكرٍ عبدالله بن مُحمَّد بن أبي شيبة العبسيُّ — حقَّقه وقوَّم نُصوصه وخرَّج أحاديثه: مُحمَّد عوَّامة — شركة دار القبلة (جدَّة/المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)؛ مُؤسَّسة عُلوم القُرآن (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) — الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

- **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور**: بُرهان الدِّين أبوالحسن إبراهيم بن عُمر البقاعيُّ — دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) — الطَّبعة الثَّانية

(١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

- **النِّهاية في غريب الحديث والأثر**: المُبارك بن مُحمَّد الجزريُّ المعروف بابن الأثير – تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوي؛ محمود محمد الطَّناحي – دار الباز.

فهرس الموضوعات

* * *

